وكان موسى المذكور قد التقى في مدينة سيانة بيوس الثاني لدى رجوعه من مجمع مانتوة الذي انعقد للنظر في شؤون الشرق (١ ومن هناك لحقهُ الى رومية

وكان قداستهُ قد تقبَّل في مواجهة خصوصيَّة مندوب البطريرك الانطاكي الذي كان في الوقت نفسه مندوبًا من قبل بطريركي اورشليم والاسكندريَّة (٢ واستعلم منهُ بعناية واهتمام عن احوال المسيحيين الشرقيين الذين كان الوقوف على اخبارهم. ولمَّا كان البابا المذكور عالمًا كبيرًا حسن الاضطلاع بالعلوم الادبيَّة لدى اليونان واللاتين تحدَّث مليًّا مع موسى الذي كان ايضًا من العلماء الممتازين (٣

ولم يكتفِ البابا بما اظهر من ادلَّة الالتفات بل احب ان يتقبَّل في مواجهة علنيَّة رئيس شمامسة انطاكية لكي يتسلَّم منهُ بصورة احتفاليَّة رسائل الانضمام المبعوثة من قبل بطاركة اورشليم والاسكندريَّة وانطاكية (٤ وكان هذا الامر قد ابهج قلب بيوس الثاني الذي اذاع في هذه المناسبة منشورًا حبريًّا

وجرت لموسى ايضًا محادثات طويلة مع بساريون الكردينال اليوناني المشهور الذي افرغ كل مساعيه لإعادة الكنيسة اليونانيَّة الى الوحدة. وقد سلَّم بساريون الى موسى بعض كتابات من قبلهِ الى بطاركة الشرق يحرِّضهم فيها على الثبات في تمسُّكهم بقوانين مجمع فلورنسة التي صادقوا عليها مع اساقفة الغرب (ستأتي البقيَّة)

محادثة لغويَّة

لحضرة الاستاذ رشيد افندي الشرتوني محرِّر البشير ومدرِّس الخطابة في كليَّة القديس يوسف

سألني احد الادباء: ما تقول في «شكَرَ» هل من فرق بين تعدّيها بنفسها وتعدّيها باللام؟

(قلتُ) انَّ معناها مع اللام هو معناها بدون اللام غير انها مع اللام افصح

(قال) انَّ احد علماء اللغة الجهبذ الخطير والعالم النحرير الشيخ ابرهيم اليازجي الذي انفق معظم العمر في البحث عن اسرار اللغة قد استدرك ما لم يذكرهُ احد من اصحاب المعجمات فاثبت في الضياء (١: ٢٥٩) ان «الشكر يجب ان يُعدَّى الى المشكور

١) راجع باستور تاريخ الباباوات ٢) باستور والمشرق (١: ٦١)
٣) المشرق (١: ٦٢) ٤) باستور

لهُ اي المُنعِم باللام والى المشكور بهِ اي النعمة بنفسهِ تقول شكرتُ لزيدٍ صنيعَهُ وشكرتُ صنيعةَ زيد. واذا قلتَ شكرتُ زيدًا فهو على تقدير مضاف اي شكرتُ نعمة زيدٍ. أما قول كتبة الجرائد شكرَ لهُ على احسانهِ وشكر لاحسانهِ وشكر لهُ لاحسانهِ فهو حائد عن الصواب في كل من الصور الثلاث »

(قلتُ) لا اتذكر ان احدًا من علماء اللغة نبَّه الى هذا الفرق ولو كان لهُ اثر من الصحَّة لَما فاتهم علمهُ لانهم كانوا ارحب منًا فهمًا لكلام العرب لمكان مشافهتهم واعلى يدًا في تفسيرهِ لموضع مخالطتهم ومعاشرتهم. ومع ذلك هلمَّ نستفتِ المعجمات لعلَّنا نجد فيها ما يصحح هذا التفريق الجديد والاختراع الحديث

وكانت لحدَثي خزانة جمعت عددًا من الكتب فنهضت وإيَّاهُ نستشير ما فيها من اسفار اللغويين فقلَّبنا لسان العرب وتاج العروس والصحاح والمصباح فلم نعثر على عبارة واحدة تشير الى الفرق المذكور

(قال) انَّ الشيخ ابرهيم قد وقف بلا شك على أقوال هؤلاء اللغويين لاني اعرف مكتبتهُ قد وعت كثيرًا من مثل هذه المصنَّفات التي لا ينقطع عن مطالعتها فاذا كان قد خالفها فذلك لسبب لم يتجلَّ لنا حتى الآن. أما تعلم انهُ قد خاض بحر اللغة ونحن لم نزل عند ساحلهِ ومن اين لنا ان نبلغ مبلغهُ من التحقيق

(قلت) متى كان الامر في هذه الدرجة من الوضوح لا يحتاج فهمهُ الى تبحُّر في اللغة فعبارة اللسان: « شكرتُهُ وشكرت لهُ وباللام أفصح. . وحكى اللحياني شكرتُ اللهَ وشكرتُ للهِ وشكرتُ بالله وكذلك شكرتُ نعمةَ الله. . . وفي الحديث لا يشكر الله من لا يشكر الناس » ومثلها عبارة التاج. وعبارة المصباح ان « شكر يتعدَّى في الاكثر باللام » وعبارة الصحاح انهُ « يتعدَّى في الاكثر باللام وربَّما تعدَّى بنفسهِ » وكل هذه الاقوال بمكان من السهولة يستوي في فهمها الذكي والغبي. ولم يرد فيها شيء يدلُّ على ان الشكر يجب ان يُعدَّى الى المنعم باللام والى النعمة بنفسهِ . أرأيت ان اللغويين الموثوق بهم لا يصوِّبون مقالة شيخك بل يخطِّئونهُ

(قال) أُجلُّ الشيخ عن الخطإ ولاسيما في احكامهِ اللغويَّة لكنَّهُ لمَّا رأى ان في تاج العروس ولسان العرب إبهامًا وقصورًا اعتمد على كلام الزمخشري في الاساس حيث يقول « شكرتُ للهِ نعمتَهُ واشكروا لي وقد يُقال شكرتُ فلانًا يريدون نعمة فلان »اه

(قلتُ) انَّ الزمخشري وان اختلفت عبارتهُ عن سائر اصحاب المعجمات فانهُ يعني ما يعنون ويريد نفس ما يريدون غير انهُ اوضح مرادهُ بالمثل فقال « شكرتُ لهُ نعمتهُ واشكروا لي » ليبيّن ان الافصح في هذا الحرف ان يُعدَّى باللام سواء عُدّي الى المشكور لهُ او الى المشكور بهِ . ثمَّ اتبعهُ بقولهِ « وقد يُقال شكرت فلانًا » يعني بهِ ان تعديتهُ بنفسهِ قليلة كما نصَّ على ذلك سائر اصحاب المعجمات حتى قال المطرّزي ان « شكرهُ » لغة في « شكر لهُ » . والظاهر انَّ قول الزمخشري بعد ذلك « شكرتُ فلانًا يريدون بها نعمة فلان » هو الذي غرَّ شيخك ابرهيم وحملهُ على الذهاب الى ان الشكر يجب ان يُعدَّى الى النعمة بنفسهِ وهو قول كما علمتَ بريٌ من الصحة كزعمهِ انَّ في تاج العروس ولسان العرب إبهامًا وقصورًا

(قال) ما اظنّ ان هؤلاء اللغويين رُزقوا العصمة

(قلتُ) اذن عمَّن تأخذ اللغة أعن الشيخ ابرهيم وحدهُ وهذا امر مستحيل لانهُ حتى الآن لم ينشر المعجم الذي قد طالما وعد بهِ فضلًا عن ان كتاباتهِ تشهد عليهِ بقصور الذرع وضعف العلم باللغة

(قال) لا اريد هذا

(قلتُ) فلماذا تكابر اذًا وتصرّ وتقول ان المشاهير الذين قرأنا كلامهم يضلّون وشيخك وحدهُ لا يضلّ ؟

(قال) لاني لم أرَ في كلامهم ما يوافق حكمهُ

(قلتُ) هذا في منتهى الغرابة . ومع ذلك فلا بُدَّ ان آتيك بنقول أُخرى كثيرة من اقوال غير هؤلاء من اللغويين المشهود لهم حتى لا يبقى في قوس عنادك منزع

(قال) افعلْ ان قدرتَ

فجئنا اذ ذاك بكتاب مفاتيح الغيب المشتهر بالتفسير الكبير لفخر الدين الرازي واوّل ما تناولنا الجزء السابع منهُ فوجدناهُ يقول عند تفسيرهِ « وما انا بظلّام للعبيد » :

« الباء تدخل في المفعول بهِ حيث لا يكون تعلّق الفعل بهِ ظاهرًا ولا يجوز ادخالها حيث يكون في غاية الظهور . ويجوز الادخال والترك حيث لا يكون في غاية الظهور ولا في غاية الخفاء . فلا يُقال ضربت بزيد لظهور تعلّق الفعل بزيد . ولا يُقال خرجتُ وذهبتُ زيدًا بدل قولنا خرجتُ وذهبتُ بزيد لخفاء تعلق الفعل فيهما . ويقال شكرتهُ وشكرت لهُ لتوسط . فكذلك خبر ما لا كان مشبّهًا بالمفعول الخ »

فما اتينا على آخر هذا الكلام حتى قال : من هو هذا فخر الدين الرازي ؟

(قلتُ) هو عالم كبير يختفي ضياء شيخك عند قدميه . ثم تناولت الجزء الثامن من الكتاب نفسه . وأول ما فتحتهُ كان الصفحة ٦٧ فاذا به يقول عند تفسيره : فسبح باسم ربك العظيم

« قد تقدم مرارًا ان الفعل اذا كان تعدّيهُ بالمفعول ظاهرًا في غاية الظهور لا يتعدّى اليه بحرف فلا يقال ضربتُ بزيد بمعنى ضربت زيدًا . واذا كان في غاية الخفاء لا يتعدّى اليه الّا بحرف فلا يُقال ذهبتُ زيدًا . واذا كان بينهما جاز الوجهان فتقول سبّحتهُ وسبحتُ به وشكرتهُ وشكرتُ لهُ »

(قلتُ) وهل بقي في نفسك ريب ان شكر مع اللام هي مثل شكر دون اللام ولا صحّة لما قالهُ شيخك من ان شكر تتعدى باللام الى المشكور لهُ والى النعمة بنفسها

(قال) وهل تريد ان اسلّم بقول رجل اعجميّ أليس الرازيّ من الريّ في بلاد فارس ؟

(قلتُ) بلى

(قال) ومن اين للاعجمي ان يكون لهُ حكم في اللغة العربية ؟

(قلتُ) يا عجبا وكيف يحكم شيخك في اللغة وهو ملكيّ ينتسب الى الاصل اليوناني (راجع الضياء ص ٢٧٥) ويجول في عروقهِ الدم اليوناني . . .

(قال) لا شك انك من الجزويت

(قلتُ) بهم اعتزّ وشيخك يدعوهم « عصابةً فاضلة اشتهرت بالاجتهاد في إحياء رسوم العلوم ولاسيما في بلادنا الشرقيّة . راجع المشرق ٥ : ٢٨٧ »

(قال) ما لنا وللجزويت دعنا نرجع الى ما كنّا في صدده

(قلتُ) ما الفائدة وانت مكابر متحزّ . جئناك باقوال اصحاب المعجمات فقلت انّ الشيخ الجهبذ النحرير الموصوف بكل وصف خطير قد طالعها ومحّصها ولكنّهُ خالفها لغاية تقصر أفهامنا عن إدراكها فهل انحصر الفهم يا ترى في شيخك ؟ اتيناك بشهادة فخر الدين الرازي الذي تُعدّ شهادتهُ بالف شهادة فقلتَ انهُ من الاعجام وان شهادتهُ في العربيّة مردودة . وذهلت انهُ قد نشأ بين الاعجام مَن لهم الكعب العالي في حفظ اللغة وضبط قواعدها . أما ان سيبويه صاحب الكتاب من الاعجام ؟ أليس الزمخشري صاحب الكشّاف هو من الاعجام ؟ . اما ان ائمة كثيرين يضيق المقام دون

تعدادهم هم من الاعجام ايضاً ؟ فمن يرضيك اذاً اذا كان لا يرضيك لا اصحاب المعجمات ولا هؤلاء الائمة ؟

(قال) ابحث عن عالم عربي محض النسب وانتني بكلامه

فاخذت شرح الكافية للامام الرضي فعثرت فيه على ما لم اكن اتوقعهُ وهو بحرفه :

« قيل في بعض الافعال انهُ متعدٍّ بنفسه مرة ومرة انهُ لازم متعدٍّ بحرف الجرّ وذلك اذا تساوى الاستعمالان وكان كل واحد منهما غالباً نحو نصحتُك ونصحت لك وشكرتك وشكرت لك . والذي ارى الحكم بتعدي مثل هذا الفعل مطلقاً اذ معناهُ مع اللام هو معناهُ من دون اللام والتعدي واللزوم بحسب المعنى . وهو بلا لام متعدٍّ اجماعاً فكذا مع اللام فهي اذاً زائدة كما في « ردف لكم » الّا انها مطّردة الزيادة في نحو نصحت وشكرتُ دون ردف »

(قال) لهذا الكتاب طبعتان فلعلَّ اصحاب الطبعة الثانية قد صحّحوا فيها ما جاء في الاولى . فصبرتُ على اصراره وعناده وقلت هات الطبعة الثانية فجاءني بها فقلّبناها فرأينا فيها في الموضع السابق ذكره هذا الكلام :

« ان فعلاً واحداً قد يتعدى مرة بنفسه الى المفعول فيُسمّى متعدياً ومرة بحرف الجرّ فيسمى لازماً وذلك اذا تساوى الاستعمالان وغلب كلّ واحد منهما نحو شكرتك وشكرت لك . هذا ما قيل والاولى جعل اللام زائدة والحكم بتعدي هذه الافعال مطلقاً اذ معناها مع اللّام هو معناها بلا لام »

(قلت) أرأيتَ كيف الطبعتان تخطّئان صاحبك وشيخك وكيف تصرّحان بانهُ لا اثر للفرق الذي اخترعهُ فلك أن تقول بالرغم عنهُ « شكرتك وشكرتُ لك وشكرتُ نعمتك وشكرت لنعمتك » دون تفريق

(قال) لا اقتنع ولو جئتني بكتب الاولين والآخرين فشيخي نسيج وحده وليس لقوله من دافع

(قلتُ) بالحق نطقتَ فابقَ على اعتقادك وارضَ بشيخك

وغادرتهُ آسفاً على ضياع ساعة من الوقت مع من ادبهُ في البحث كأدب شيخه

الفصح

تاريخهُ وبيان حسابه

للاب موريس كولنجت اليسوعي

قد أطلعنا في كتاب الآثار الباقية عن القرون الخالية على فصل حسن لابي ريحان محمد بن محمد المشهور بالبيروني اثبت فيه الحساب الفصحي الذي كان يجري عليه نصارى